المبادئ التربويّة للمقاومة في القرآن الكريم والبحث في مصاديقها[1]

طاهرة ماهرو زاده[2]
حوراء خمسه[3]

ملخص المقال

أولى النظام التربويّ في الإسلام - بالاستناد إلى القرآن الكريم - الحياة الفرديّة والاجتماعيّة لأفراد البشر أهميّة كبيرة، ويُعتبر النظام المذكور أكمل نظام تعليميّ وتربويّ للفرد بما يشتمله من نماذج علميّة وقرارات وتعاليم عينيّة قابلة للتطبيق. ويمتلك كلّ واحد من أفراد البشر بعض الميول والرغبات بما يتناسب فطرته الداخليّة، فإذا تمّ ترويض تلك الميول وتربيتها بشكلٍ صحيحٍ، فإنّه لا ريب سيبلغ درجة الكمال والفضائل الإنسانيّة العالية. والمعلوم أنّ نَيل تلك المنزلة من الكمال يتطلّب السّعي والثبات والمقاومة إزاء الأهواء والعوائق، فمفهوم (المقاومة) لا يمكن تحقيقه إلّا بتطبيق مبادئها التربويّة المتمثّلة في الميول الفطريّة للأفراد.

في هذا المقال سنحاول بأسلوبٍ وصفيٍّ تحليليٍّ - وبالاستعانة بالآيات القرآنيّة والمصادر التربويّة أوّلًا - بيان مفاهيم التربية والمقاومة، ثمّ شرح المبادئ التربويّة للمقاومة وتحليلها بهدف التربية والتعليم ونشر ثقافة المقاومة، ومن أمثلة المبادئ المذكورة: البحث عن الحقيقة، وتحرّي الفضيلة والرغبة في الخلود والمَيل نحو الكمال. وفي آخر المقال سنشير إلى بعض أمثلة المقاومة في القرآن الكريم.

مفاتيح البحث: المقاومة، الاستقامة، الثبات، المبادئ التربويّة للمقاومة، الأمثلة القرآنيّة للمقاومة.

---

١. الإهداء إلى روح شهيد المقاومة الفريق الحاج قاسم سليماني ورفاقه الأبطال.

٢. عضو الهيئة العلميّة في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة، وباحثة في أكاديمية الدراسات الإسلاميّة في جامعة الزهراء عليها السلام. البريد الإلكتروني: Tahereh mahrozadeh@gmail.com.

٣. ماجستير المعارف القرآنية. البريد الإلكتروني: khamse90@gmail.com .

مقدّمة

وضعت المدرسة التربويّة في الإسلام برنامجًا شاملًا ومنظّمًا لتحقيق سعادة الإنسان، وذلك بفضل المعرفة الدقيقة لنظام الوجود الإنسانيّ، كما هو مذكور في القرآن الكريم، وتهدف معارف تلك المدرسة إلى هداية الإنسان إلى أفضل وأقوم أسلوب حياتيّ وفق المواصفات والخصائص الكامنة في وجود الإنسان وبما ينسجم مع فطرته.[١] ونعني بالمقاومة الثبات والإصرار على الرؤية التوحيديّة والجهاديّة في مقابل الشّرك والكفر، وهو من جملة المفاهيم التربويّة للتعاليم القرآنيّة، تمامًا كما ثبت الأنبياء والرّسل في إبلاغ رسالاتهم ودعوة الناس إلى التوحيد بفضل إيمانهم بهدفهم ورسالتهم رغم كلّ ما واجهوه من صعوبات ومشاكل، فالأنبياء هم الأسوة العمليّة الحقّة للمقاومة. وهكذا، فإنّ بيان ونشر ثقافة المقاومة في عالمنا اليوم يُعدّ تكليفًا شرعيًّا ضدّ العدوّ.

وقد أشار القرآن الكريم إلى العديد من النماذج العمليّة لحقيقة المقاومة – التي تعني الثبات على طريق التوحيد والاستقامة عليه – للمؤمنين، وعرّفهم عليها بوضوح تامّ إلى جانب الأساليب المطلوبة للتصدّي للعوائق التي تحول دون بلوغ الهدف الغائي، وهو التقرّب إلى الله تعالى، وابتغاء رضوانه والوصول إلى الحياة الطيبة. ولمّا كانت الاستقامة على التوحيد ومحاربة الشرك والظلم والجور في هذه الدنيا المادية قائمة على أساس الخصائص الفطريّة للإنسان، فإنّ ذلك يعني أنّه لا انفصام للمقاومة والثبات عن حياة الإنسان المؤمن، وأنّها تهديه إلى الفلاح والخلود؛ لأنّ حركتها وثباتها قائمان على النظرة التوحيديّة، وهذا ما يجعل مواجهة الإنسان للعوائق والتصدّي للطغاة في كلّ عصر هيّنًا ويسيرًا.

فاستقامة إبراهيم الخليل عليه السلام في حركته التوحيديّة ومحاربته لعبادة الأصنام وظلم النّمرود،[٢] هو الذي رفعه إلى مرتبة الخلّة والمحبّة عند الله سبحانه، كما يُمثّل الكثير من الأنبياء الآخرين كنوح وموسى عليهما السلام مصاديق جليّة وأمثلة حيّة للمقاومة، وثبات أصحاب الكهف على عقيدتهم الحقّة،

١. الإسراء: ١٠.

٢. مريم: ٤٢-٤٨؛ الأنبياء ٥٢-٥٧.

ومقاومتهم للشّرك والكفر، هو الذي خلّد أسماءهم في القرآن الكريم،[١] وكذلك مؤمن آل فرعون وسَحَرة فرعون وآسية امرأة فرعون وكلّ منهم أصبح مثالًا للمقاومة في طريق التوحيد بفضل مكوّناتهم التربويّة الهادفة إلى تحصيل الفضيلة والكمال وطلب الخلود.

وفي العصر الحديث حيث لايتوانى الطغاة وفراعنة هذا الزمان عن ظلم الناس واضطهادهم وإظهار العداء للموحّدين، فإنّنا في أمسّ الحاجة إلى اتّباع ثقافة المقاومة وفق الخصائص العامة للإنسان واستعراض النماذج والأمثلة القرآنيّة للجميع، وإن وجِد الكثير من المتحرّرين والمسالمين في كلّ وقت ممّن أضحت مقاومتهم أسوة ومثالًا للآخرين لاعتمادهم فطرة التوحيد.

«**إنّ ما جعل الإمام الخمينيّ قدس سره مدرسةً وفكرًا ومنهجًا فريدًا في عصره وفي التأريخ من بعده أيضًا، هو اتّصافه بالمقاومة والثبات وعدم الاستسلام للصعوبات والعوائق، لقد أبدى الإمام قدس سره مقاومةً واضحةً ضدّ الطغاة وأمام أنظار العالم كلّه، في وقت تعب الكثير ويئسوا من طغاة الداخل، إلّا أنّ الإمام قدس سره ظلّ ثابتًا وصامدًا، واستمرّ سائرًا في طريق النضال والمقاومة دون أن يتقهقر أو يتراجع، وبعد انتصار الثورة الإسلاميّة واجه الإمام ضغوطًا وصعوبات من نوع آخر ومن كلّ جانب، ومع ذلك لم يتخلَّ عن مقاومته أبدًا**».[٢] علينا نحن أيضًا أن نسير على هذا النّهج ونروّج له بالاستناد إلى الآيات القرآنيّة.

وفيما يخصّ مسألة المقاومة والاستقامة هنالك الكثير من المؤلّفات التي تتناول آيات القرآن الكريم، أو تُعرّف النماذج القرآنيّة أو الإنسانيّة في كلّ عصر، إلّا أنّه لم يُكتَب أيّ مقال مشابه لمقالنا يتناول الموضوع المذكور، فهو يخوض في مسألة المقاومة؛ باعتبارها الثقافة التي أشار إليها القرآن الكريم؛ حيث نستند في بحثنا وتحليلنا إلى المبادئ التربويّة الإسلاميّة والأخذ بعين الاعتبار الهدف الغائي للإنسان وفق مدرسة التربية والتوحيد، مع ذكر الكثير من النماذج والأمثلة، ونحاول الإجابة عن بعض الأسئلة، مثل: ما المبادئ التربويّة للمقاومة؟ ومَن هم أسوة المقاومة وفق المبادئ التربوية القرآنيّة؟

١. الكهف: ١٤، ١٦، ٢٠.

٢. الإمام الخامنئي، كلمة سماحته بمناسبة الذكرى الثلاثين لرحيل الإمام الخمينيّ قدس سره.

الأول: تبيين المفاهيم

١- المبادئ

كلمة (المبادئ) مشتقة من (البدء والبداية)، وتعني الأسس والأوّليات والقواعد،[١] وفي اصطلاح التربية والتعليم، فإنّ المقصود بـ(المبادئ) هو الأساس العقائديّ والفلسفيّ ونوع المعرفة - في كلّ مدرسة - عن مبدأ الوجود والعالم والإنسان. وبناءً على هذا لا بدّ للأهداف والمسار والأساليب العمليّة في أيّ علم أن تكون قائمة على أساس المبادئ، وفي الحقيقة أنّ ميزة أيّ مدرسة رهن بمبادئها،[٢] أمّا الأساس في النظام التربويّ، فيتمثّل في الخصائص العامّة للإنسان، وهو فرع من وصف الإنسان نفسه،[٣] ومشترك بين جميع أفراد البشر، إلّا أنّ لنوع التربية دورًا كبيرًا في ازدهارها أو قمعها.

٢- التربية

(التربية) كلمة مشتقّة من (الربّ) وتعني التنشئة، أي إيجاد حالة بعد حالة سابقة في الشيء حتى الوصول إلى الحدّ النهائي والتمام والكمال.[٤] كما تعني التربية تفعيل الطاقات الكامنة الموجودة في مخلوق ما، ثمّ تربيتها وتنظيمها، ولا يصدق مفهوم التربية إلّا فيما يتعلّق بالأحياء؛ إذ تكون تابعة للفطرة والطبيعة.[٥] فالتربية إذًا تعني التّطوير، وهي في النظام التوحيديّ تعني معرفة الخالق والربّ الواحد الأحد للإنسان والعالم، واعتباره الإله والربّ الوحيد والامتثال لربوبيّته والإعراض عن عبادة غيره بشكل كامل.[٦]

وفي التعريف المذكور، فإنّ المعرفة والاختيار والعمل من العناصر الأصليّة في المدرسة التربويّة الإسلاميّة، فعندما يؤمن الإنسان بأنّ الله هو خالق العالم والوجود، فمن الضروريّ أن يوجّه كلّ أفعاله وحركاته في مسار طاعة الربّ والامتثال لأوامره حتى بلوغ قُربه والحصول على رضوانه.

---

١. دهخدا، لغت نامه دهخدا، ج١٢، ص١٧٧٥٩؛ أنوري و آخرون، فرهنگ بزرگ سخن، ج٧، ص٦٥٩١.
٢. رهبر؛ رحيميان، اخلاق و تربيت اسلامى، ص٣٧.
٣. راجع باقري، تعليم و تربيت اسلامى، چارچوب تئوريک و كاربرد آن، ص٦٥.
٤. خسروي الحسيني، ترجمة و تحقيق مفردات ألفاظ القرآن، ج٢، ص٢٩.
٥. المطهري، تعليم و تربيت در اسلام، ص٤٣.
٦. باقري، تعليم و تربيت اسلامى، چارچوب تئوريک و كاربرد آن، ص٤٤.

٣- المقاومة

المقاومة مشتقّة من الفعل الثلاثي (قامَ) بمعنى وقفَ واستقامَ وثبتَ، والمقاومة وزان (مُفاعَلة) وتعني القيام بوَجه الآخرين والتصدّي لهم،[١] ومن معانيها الأخرى الثبات والاستقامة والصّمود والإصرار.[٢]

هذا، ولم تُذكَر كلمة (المقاومة) صراحة في القرآن الكريم، لكنّ المفاهيم المرتبطة بهذه الكلمة - مثل (الثبات) و(الاستقامة) و(الإصرار) و(الصّمود) و(الجهاد) وما شابه ذلك - استُعمِلت كثيرًا في القرآن الكريم، والمقصود بـ(المقاومة) في القرآن الكريم في بعض الأحيان الصّمود والثبات في ميدان الجهاد، وفي أحيان أخرى مقاومة الرغبات النفسيّة والداخليّة، فضلًا عن معناها الأصليّ وهو استقامة الإنسان وثباته على الإيمان بالله، وقد وعدَ الله سبحانه في القرآن الكريم الذين استقاموا على الإيمان به بالجنّة والحياة الطيبة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾.[٣]

وتُعدّ الاستقامة على الإيمان بالله تعالى من المبادئ الأساسيّة للأنبياء عند تبليغهم رسالاتهم، «فمن خلال وقوفهم وتصدّيهم للتقاليد الخاطئة والممارسات الاجتماعيّة الباطلة، بذل الأنبياء الغالي والنّفيس، وضحّوا بكلّ ما لديهم في سبيل إصلاح المجتمعات، وواصلوا تبليغ رسالاتهم والعمل بمسؤولياتهم الكبيرة من غير خوف أو وجل من الصعوبات والمشاكل التي واجهتهم،[٤] وفي ذلك يقول الله (عَزّ وجَلّ): ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا**﴾.[٥]

پرتال جامع علوم انسانی

١. مير قادري؛ كياني، بن‌مايه‌هاى ادبيات مقاومت در قرآن، ص٦٧.

٢. دهخدا، لغت نامه دهخدا، ذيل مفردة (مقاومت).

٣. فصلت: ٣٠.

٤. موقع الحوزة الاختصاصي، فرهنگ ايثار و مقاومت در قرآن.

٥. الأحزاب: ٣٩.

الثاني: المبادئ التربويّة للمقاومة

إنّ المقاومة والثبات على الإيمان بالله والاستقامة في ميدان الجهاد والوقوف بوجه الأهواء النفسيّة، تعني شروع المواجهة مع الصعوبات والمشاكل والمُعضلات؛ ولهذا فإنّ الإنسان بحاجة إلى بعض الالتزامات الداخلية والدوافع القويّة للاستعداد لتلك المواجهة.

يقول الإمام علي عليه السلام: «**ثَمَرَةُ اَلْعَقْلِ الاسْتِقَامَة**».[١]

وفي النظام التربويّ الإسلاميّ، فإنّ تلك الالتزامات والاتّجاهات موجودة في فطرة الإنسان التوحيديّة، وقد أشار الله سبحانه بوضوح في القرآن الكريم إلى مسألة مفادها أنّه تعالى فطر الناس جميعًا على التوحيد والدين: ﴿**فَأَقِمْ وجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.[٢]

وعلّق المُفسّرون على ذلك بقولهم: «﴿**فِطْرَةَ اللهِ**﴾ **أي الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله**».[٣] وما تقتضيه فطرة الإنسان هو التوحيد.

عَنْ زُرَارَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾، قَالَ: «**فَطَرَهُمْ جَمِيعًا عَلَى التَّوْحِيدِ**».[٤]

والفطرة هي المسؤولة عن إيجاد الميول والرّغبات داخل الإنسان والدّافع إلى الشّوق والحركة، وفطرة التوحيد وديعة يودعها الله سبحانه الإنسان وكيانه منذ لحظة ولادته، وهي أمرٌ معنويٌّ وقائد يهدي الإنسان إلى الساحة الإلهيّة وارتقاء أعلى درجات الكمال. وبعبارة أخرى، فإنّ فطرة التوحيد في الإنسان هي التي تقوده نحو ربّه والمعنويات، وتجعله متعطّشًا إلى الكمالات غير الماديّة؛ لأنّ

١. التميمي الآمدي، غرر الحكم و درر الكلم، ج١، ص٦٥.

٢. الروم: ٣٠.

٣. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٣، ص٤٧٨؛ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص١٢٨.

٤. الكليني، الكافي، ج٢، ص١٠.

نتيجة وثمرة تربية أفراد البشر على أساس نظام التوحيد ليست سوى اختيار طريق الحقّ والاستقامة للوصول إليها.

ولا بدّ من الالتفات إلى نقطة مهمّة، وهي أنّ الإنسان مُعرّض دومًا إلى الميول والأهواء النفسيّة والوساوس الدنيويّة والماديّة، وخلال هذه المواجهة تبرز أهميّة المقاومة والثبات، وفيما يتعلّق بمسألة المقاومة أيضًا تصبح مقاومة الإنسان وثباته في مواجهة الصعوبات مواتية ومطلوبة مع وجود بعض الميول المعنويّة في فطرته التوحيديّة، وهذه الميول التي تُعتبر من الصفات العامّة للإنسان تمثّل في الحقيقة نوعًا من المبادئ التربويّة الموجودة في فطرته، وهي المحرّك والدّافع له لتحقيق أهدافه.

فيما يلي سنتناول أهمّ المبادئ التي تلعب دورًا كبيرًا في بلوغ الإنسان السعادة المنشودة بفضل المقاومة.

١. البحث عن الفضائل

يُعدّ البحث عن الفضيلة من الميول والالتزامات الباطنيّة والداخليّة في شخصية كلّ إنسان، فالمَيل نحو الفضائل - كالعدالة والصّدق والأمانة والوفاء بالعهود وما شابهها - أمر لا يُنكَر، ولا يمكن بلوغ تلك الفضائل إلّا بالمقاومة والثبات في وجه الرّذائل الأخلاقيّة التي لا تحتلّ أيّ مكان في داخل الإنسان؛ ولهذا «إذا كان وضع الإنسان في الخارج بشكل كانت معه نتيجة المَيل إلى الفضيلة أو الرذيلة واحدة، فمعنى ذلك أنّه يتّجه نحو ما يرغب إليه باطنه وتشتاق إليه فطرته».[١]

وثمّة أمور أخرى قد يميل إليها بعض الأفراد ليس لكونها نافعة أو مفيدة، بل لمجرّد كونها فضيلة، والفضيلة نوعان: فرديّة واجتماعية. من أمثلة الفضيلة الفردية المَيل إلى النّظام والانضباط والرغبة في ضبط النّفس، وكذلك الشجاعة بمعنى قوّة القلب. وأمّا الفضيلة الاجتماعيّة، فمثل المَيل نحو التعاون والرّغبة في مساعدة الآخرين والمشاركة في العمل وحبّ الإيثار والإحسان وما إلى ذلك.[٢]

١. اعرافي، اهداف تعليم و تربيت از ديدگاه اسلام، ص١٢٢.

٢. مطهري، فطرت، ص٧٨.

إنّ ما يُطلَق عليها اسم الفضيلة أو الرذيلة الأخلاقيّة لا تخضع للظروف الزمانيّة أو المكانيّة، بل تصدق على جميع الأفراد في أيّ زمان ومكان، والحقيقة أنّ كلًّا من الفضائل والرّذائل الأخلاقيّة تتضمّن في داخلها نوعًا من حالة التقدّم والتأخّر والأهمّ والمهمّ، بحيث يتمّ تبديل مواقعها وترتيب الأولويّات وفق شروط وظروف مُعيّنة، إلّا أنّ كلّ ذلك تحكمه ضابطة عامّة وكليّة وإن بَدت هناك بعض الاختلافات بسبب كثرة الأمثلة وتعدّدها.[١]

إنّ الشخص الذي لا توجد في داخله أيّ رغبة أو مَيل نحو الفضائل الأخلاقيّة، وغلب عليه الانجذاب إلى الماديّات والأهواء النّفسيّة، لا يملك قدرة المقاومة والثبات على إيمانه بالله سبحانه ومواجهة الأهواء النفسيّة والجهاد في جبهة الحقّ. وقد يتمكّن الإنسان في بعض الأحيان من التمييز بين الخير والشرّ وفق فطرته، لكنّه قد يخطئ في تحديد المصداق والأسلوب اللازميْن لبلوغ تلك الحالة.

وتتجلّى أهميّة المقاومة عند مواجهة الأهواء النفسيّة الداخليّة والوساوس الدنيويّة في بُعديْها الفرديّ والاجتماعيّ، وبالاستناد إلى المبادئ التربويّة، فإنّ منشأ استقامة الإنسان في مقابل المُعضلات يكمن في فطرته وميوله نحو البحث عن الفضيلة، لكن لا يمكن اعتبار مقاومة الشخص وثباته مقبولين وحسنين إلّا إذا كانا مصحوبيْن بالعلم والوعي وسائريْن نحو الهدف الغائي وهو التقرّب إلى الله سبحانه، عندئذ ستمنح الفضائل الإنسانيّة (في البُعد الفرديّ) صاحبها القرب[٢] والرّضوان[٣] والفلاح[٤]، (وفي البُعد الاجتماعي) ستمنحه الاستقلاليّة والعزّة الإسلاميّة.[٥]

٢. البحث عن الكمال

بالاستناد إلى القرآن الكريم، فإنّ الإنسان مخلوق كريم بالفطرة، ويستحقّ أن يكون خليفة الله ومسجود الملائكة، وبإمكانه بلوغ ذلك المقام الرّفيع بالفعل. ومن منظار نظام التعليم

١. رباني گلپايگاني، فطرت و دين ، ص٢١٤.

٢. الكهف: ٢٤.

٣. الحديد: ٢٧.

٤٤. الأعراف: ٦٩.

٥. المائدة: ٥٤.

والتربية القرآنيّة، فإنّه ينبغي لكلّ شخص أن ينظر إلى نفسه وإلى الآخرين في إطار هذه النظرة، وأن يكون عارفًا بقدره وقَدر الآخرين، كما لا ينبغي له تحقير نفسه والتّصغير من شخصيّته، بل أن يسعى دومًا إلى تكامله وتكامل الآخرين أيضًا، فيقدّر كرامته الذاتية ويتحرّك على نحوٍ يربط معه بين الكرامة الذاتيّة والكرامة القيميّة، وعليه أن يعلم بأنّ الله سبحانه اختاره ليصبح خليفته؛ لذا عليه أن يسعى إلى الوصول إلى ذلك المقام[١]: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾.[٢]

فكلّ إنسان يميل إلى التغيير والتحوّل وفق رغباته الباطنة والفطريّة، والرّغبة إلى الكمال هي الحافز الذي يحرّك الإنسان، لكن ليست كلّ حركة أو تغيير ينتهي إلى الكمال، «**فالمسار التربويّ في الدين يستند إلى تقوية عامل الميل، ونعني بذلك الميل إلى الكمال والبحث عنه، وليس باستطاعة الإنسان بلوغ منزلة القرب الإلهيّ إلّا إذا بادر إلى بسط كمالاته الوجوديّة وتوسيعها. وحتى الميول الأخرى - مثل البحث عن الحقيقة وعن الله سبحانه والفضيلة أيضًا - تستند إلى تلك الميول، وتُفَسّر على ضوئها، فإذا لم يكن المَيل نحو الكمال موجودًا في داخل الشخص، فإنّ المَيل نحو الحقائق والفضائل والله تعالى الذي هو مصدر الكمالات كلّها، لن يكون له أيّ معنى أو مفهوم عنده**».[٣]

إنّ التركيز على كون الإنسان يرغب فطريًّا في أيّ كمال بشكل غير محدود يقودنا إلى حقيقة مفادها أنّ الكمال النهائيّ للإنسان يتمثّل في قربه من الله الذي هو ينبوع الكمالات كلّها، فإذا اقترب العبد من الله سبحانه ذاق طعم البهجة والسعادة الذي لا يشبهه أيّ طعم آخر.[٤] وقد وصف القرآن الكريم الذين يتسابقون إلى عمل الخير بأنّهم المقرّبون إلى الله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾.[٥] ولا شكّ في أنّه ليس بمقدور الإنسان مواجهة الصعوبات ومقاومة العوائق والموانع التي تحول بينه وبين الوصول إلى الكمال المطلوب إلّا على هذا الأساس.

---

١. راجع: فرهاديان، مبانى تعليم و تربيت اسلامى در قرآن و حديث، ص١٥٢.

٢. الإسراء: ٧٠.

٣. اعرافي، اهداف تعليم و تربيت از ديدگاه اسلام، ص١٢٩.

٤. مصباح يزدي، فلسفه تعليم و تربيت اسلامى، ص١٧٧.

٥. الواقعة: ١٠- ١١.

٣. المَيل إلى الحياة الاجتماعية المطلوبة

في المجتمع المطلوب يحرص كلّ فرد على احترام قدرات الآخرين، ومُراعاة حقوقهم، والاستفادة من إمكانيّاتهم، ويهيّئ الأرضيّة؛ لكي يتمكّن كلّ واحد منهم من تقديم استعداداته وقابليّاته وتطوير وتنمية الإبداعات الخلّاقة، وكلّما كانت العلاقة والتّعامل بين الأفراد وثيقًا ومتينًا، قلّت حالات المواجهة بينهم، وضعف احتمال ظهور التوتّر بينهم، واسُتعيض عن الفُرقة والتناحر بالعطف والمحبّة.[١]

وفي هذا الصّدد يقول الله - عَزّ وجَلّ - في القرآن الكريم: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾.[٢]

يمتلك الفرد - بغضّ النظر عن المجتمع الذي ينتمي إليه - العديد من الخصائص الأساسيّة، وعلى رأسها الفطرة والكرامة والحريّة، وفي الوقت الذي يتمتّع فيه الإنسان بتلك الخصائص، يمكنه أن يكون عضوًا في أيّ مجتمع، وهذه العضوية تعني أنّه يعيش في مكان ذي وضع ثقافيّ واجتماعيّ مُعيّن. وعليه، فالفرد مُعرّض لتأثيرات مُعيّنة لكنّ قدراته الداخليّة والإنسانيّة تحول بينه وبين أن يكون متفاعلًا مع المجتمع، ومتأثرًا به.[٣] ومع ذلك، فإنّ الأفراد وبشكل عامّ يتأثّرون بلا شكّ بسلوك الآخرين من أفراد المجتمع ونمط حياتهم. يُضاف إلى ذلك، أنّ أفعال الشخص تضع تأثيرها الواضح على سائر المخلوقات الأخرى وعلى البيئة كذلك، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم أيضًا: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾.[٤]

قد يضمّ المحيط الاجتماعيّ في حياة الأفراد مجموعة من الثقافات والتقاليد التي ربّما تتعارض مع الاتّجاهات الفطريّة والدينيّة للفرد، وثمّة احتمال كبير بأن يتأثّر الإنسان بكلّ تلك الظروف على غير

---

١. راجع اعرافي، اهداف تعليم و تربيت از ديدگاه اسلام، ص١٣٤.

٢. آل عمران: ١٠٣.

٣. باقري، تعليم و تربيت اسلامى، چارچوب تئوريک و كاربرد آن، ص٥٩.

٤. الروم: ٤١.

ما يهوى ويتوقّع، إلّا أنّ النظام التربويّ الإسلاميّ لا يتأثّر بمثل تلك الظروف والحالات؛ لأنّه قائم على أساس المَيل الباطنيّ والرغبة في الحياة الاجتماعيّة المطلوبة، ولبلوغ الحياة الطيبة[١] - وهي الحياة الطاهرة النقيّة التي تشمل جميع شؤون الإنسان بدءًا من النّقاء والطهارة الجسمية وانتهاءً بالطهارة الفكريّة والعقليّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة[٢] - فإنّ النظام التربويّ الإسلاميّ يُبدي مقاومة كبيرة تجاه أيّ ظروف محتملة.

ومن خلال سرده لقصّة رجل ثريّ ومستكبر اسمه (قارون)[٣] يشير القرآن الكريم إلى حقيقة عامّة، وهي أنّ: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٤] الذين لا يرغبون العلوّ والفساد، بل وليست لهم نيّة لفعل ذلك، قلوبهم منزّهة عن مثل تلك الأمور ونفوسهم طاهرة ونقيّة.[٥]

٤. المَيل نحو الخلود

لو كان الإنسان موجودًا فانيًا لَمَا كان توّاقًا إلى البقاء والخلود، بل ما كان ليفكّر أصلًا بالمسائل المتعلّقة بالخلود مثل الله سبحانه والفضيلة. ولو كان موجودًا خالدًا وأبديًّا لكنّه لم يكن راغبًا في الخلود، لَمَا أرهق نفسه في التفكير بموضوع الخلود والأبد، لكنّ رغبته اللامتناهية ومَيله الشديد نحو البحث عن الحقيقة وعن الوجود الإلهيّ والقيام بالأعمال الصالحة هي من العلامات البارزة التي تبيّن حقيقة وجود الإنسان، بل وحتى نزوعه إلى السلطة واكتساب الثروة والنفوذ والمكانة الاجتماعيّة وغير ذلك لا ينتهي عند حدّ مُعيّن، وكلّما حصل على شيء طلب المزيد؛ لأنّ سلوك الإنسان هذا يشير بشكل غير مباشر إلى عنفوانه الباطن ورغبته العارمة.[٦]

---

١. النحل: ٩٧.

٢. باقري، تعليم و تربيت اسلامى، چارچوب تئوريک و كاربرد آن، ص٥٧.

٣. القصص: ٧٦-٨٣.

٤. القصص: ٨٣.

٥. راجع: مكارم شيرازي، تفسير نمونه، ج١٦، ص١٧٨.

٦. اعرافي، اهداف تعليم و تربيت از ديدگاه اسلام، ص١٢٦.

وكما ذكرنا آنفًا فإنّ للإنسان أيضًا ميولًا ورغبات دنيوية زائلة ومؤقّتة تؤدّي أحيانًا إلى نسيانه وضعفه في الوصول إلى أهدافه المعنويّة الخالدة؛ لذلك نراه في بعض الحالات يُبدي مقاومة شديدة إزاء الميول والرغبات الدنيويّة الفانية لبلوغ الأهداف والمقاصد العالية وفق فطرته ورغبته في الخلود؛ وذلك لإيمانه بأنّ كلّ ما يعود إلى الله خالد لا يفنى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾،[1] فالإنسان الذي يمتلك نظرة توحيديّة للوصول إلى تلك الحياة الخالدة، يغضّ النظر عن الحياة الماديّة المرفّهة، ويتجنّب اللّذات الدنيويّة الفانية أملًا في الخلود، وقد بشّر الله سبحانه الشهداء الذين يضحّون في سبيل الدين وجبهة الحقّ بقوله: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾،[2] وهذا ما يسهّل مشكلات المقاومة ضدّ الأعداء ويذلّل صعوباتها.

ويُخبرنا التأريخ أنّه على الرّغم من خسارة المسلمين وفشلهم في معركة (أحد) أمام المشركين في صدر الإسلام، إلّا أنّ الله سبحانه عوّضهم بـ(حمراء الأسد) التي قال بشأنها القرآن الكريم: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾،[3] فلم يخافوا عدوّهم، بل ثبتوا على إيمانهم، واستقاموا على طريقتهم، وهذا كلّه من خصائص الإيمان بالهدف والنظرة التوحيديّة التي كان يتّصف بها المسلمون الذين كانوا يرون الشهادة في سبيل الحقّ هي الطريق الأمثل للقرب من الله والخلود في جنّاته.[4]

وبالنّظر إلى ما قلناه، فإنّ الثبات لاكتساب الفضائل والوصول إلى الكمال، ثمّ المقاومة في وجه العوائق من أجل بلوغ الأهداف الغائية للتربية الإسلاميّة، تمنح القرب والرّضوان الإلهي والفلاح (في البُعد الفرديّ) والحياة الطيبة (في البُعد الاجتماعيّ)، وذلك على أساس البحث عن الفضيلة والكمال والرغبة في الحياة الاجتماعيّة المطلوبة والتّوق إلى إخلاد روح الإنسان. كلّ هذه الأمور مودعة في طبيعة الإنسان، وهنا يسعى النظام التربوي الإسلاميّ إلى تمكين أتباعه من الاختيار

١. الرحمن: ٢٦ – ٢٧.
٢. آل عمران: ١٦٩.
٣. آل عمران: ١٧٣.
٤. راجع مكارم شيرازي، تفسير نمونه (تفسير الأمثل)، ج٣، ص١٧٨.

الصحيح والواعي والشوق والرغبة لبلوغ تلك الأهداف، كما يصوّر لهم المشاهد الرائعة للفداء والشهادة والتضحية.

يقدّم القرآن الكريم - وهو كلام الله سبحانه - للإنسان أفضل وأقصر سبيل لبلوغ السعادة من خلال استعراض النماذج العملية لمبادئه، وسوف نشير فيما يأتي إلى بعض أمثلة ذلك.

الثالث: نماذج وأمثلة للمقاومة في القرآن الكريم

١. الأنبياء والرّسل

لا ريب في أنّ الأنبياء والرّسل هم أفضل المصاديق وأحسن الأمثلة للمقاومة والاستقامة كما يشير القرآن الكريم إلى ذلك، فقد بلّغوا دينهم ورسالاتهم بإيمان راسخ وعقيدة ثابتة وإن تمّ تكذيبهم جميعًا، لكنّهم ثبتوا واستقاموا في سيرتهم وفق المبادئ التربوية المذكورة وواجهوا كلّ التحدّيات والصعوبات. وقد دعا الله سبحانه أنبياءه ورُسله إلى التجمّل بالصّبر والاستمرار في الثبات في وجه مُكذّبيهم: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾[١] وفيما يلي نستعرض بإيجاز سيرة حياة بعض الأنبياء والرّسل ومقاومتهم واستقامتهم:

أ- النبي نوح عليه السلام

كان الملأ من قوم نوح عليه السلام وأئمّة الكُفر وسادتهم يتفاخرون بأموالهم وسلطانهم، ويعتبرون أنفسهم أشرف قدرًا وأرفع منزلة من الآخرين، وكانوا يقولون لنوح عليه السلام: ﴿**مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ومَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ومَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾،[٢] وتمادوا في أقوالهم وأفعالهم فنسبوا إليه وإلى أصحابه الجنون والضّلال والكذب: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ**

١. الأنعام: ٣٤.

٢. هود: ٢٧.

﴿بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾،[١] ﴿... إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾،[٢] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾.[٣]

وبالنّظر إلى عُمره الطويل الذي قضاه نوح عليه السلام والسنوات المتمادية التي عاشها مع قومه، وكذلك الأفراد القلائل الذين آمنوا بدعوته وإصرار قومه على عبادة الأصنام، فإنّه يصف نوح عليه السلام عناد قومه ومحاربتهم لرسالته بقوله: ﴿... رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا ونَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ واسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وأَصَرُّوا واسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾،[٤] ومع ذلك استمرّ نوح عليه السلام في مقاومته وثبت على إيمانه وتبليغ دعوته رغم ما لقي منهم من الأذى والاتّهام بالجنون والضّلال إلى جانب إيذائهم وتعذيبهم له جسديًّا أيضًا.[٥] وفي مقابل تلك الصعوبات والمُعضلات لم يتوان نوح عليه السلام عن الإجابة عن كلّ تساؤلاتهم وإشكالاتهم بالعقل والمنطق، ومن ذلك أنّه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾،[٦] وأمّا السؤال حول اختصاص هذا الجواب بأيّ من الإشكالات الثلاثة التي طرحها قوم نوح عليه السلام، فقد ذكر المُفسّرون العديد من الأقوال بهذا الشأن، لكن إذا تأمّلنا المسألة بدقّة سنلاحظ أنّ هذا الجواب الجامع يشمل الإشكالات الثلاثة كلّها؛ لأنّ أوّل تلك الإشكالات هو: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾، وكان جوابه عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾، فكَوْني بشرًا لا يعني أنّني لا أستطيع إبلاغ رسالة ربّي، وليس بالضرورة أن أكون ملاكًا لأقوم بهذه المهمة.

والإشكال الثاني هو: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ فأجابهم قائلًا: ﴿مَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ ولَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.

---

١. المؤمنون: ٢٣.

٢. الأعراف: ٦٠.

٣. الشعراء: ١٠٥؛ القمر: ٩؛ المؤمنون: ٣٨.

٤. نوح: ٥-٧.

٥. رسولي، تاريخ انبياء، ص٢٥ - ٢٦.

٦. هود: ٢٨.

أمّا الإشكال الثالث، فقولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾، فقال لهم نوح عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾، فليس لديكم من دليل قاطع أو حجّة دامغة تدفعكم إلى تكذيبي؛ وذلك لوضوح ما أقول وصدق ما أتيت به.[١]

وفي الختام تقول الآية الشريفة على لسان نوح عليه السلام: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾،[٢] فعندما تتلاشى أركان الفطرة السليمة عند الإنسان بسبب التربية الخاطئة، فلن يكون لطريق الهداية ومسار المقاومة أيّ معنى ومفهوم لديه، ممّا سيدفعه إلى الإنكار والتكذيب والعداوة.

ب- النبي موسى عليه السلام

النبي موسى عليه السلام أيضًا كُذّب مرارًا وتكرارًا من قِبل فرعون الطاغية المستكبر في عصره، مثله في ذلك مَثل إخوته من الأنبياء عليهم السلام،[٣] وقد بيّن القرآن الكريم بوضوح عصيان فرعون وطغيانه واستكباره عن الإيمان بالله وبرسوله،[٤] حتى أمر الله نبيّه موسى عليه السلام بمواجهة فرعون بالحجّة والدليل الساطع: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾،[٥] ثمّ أوصى موسى عليه السلام قومه (بَني إسرائيل) بالمقاومة والثبات بوجه فرعون وتهديداته وأذاه، كما أكّد لهم اقتراب موعد انتصارهم على عدوّهم شرط أن يلتزموا بثلاثة أمور وتطبيقها بشكل عمليّ (كما أمره الله تعالى): ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ واصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[٦] فهذه الآية الشريفة في الحقيقة تمثّل خارطة طريق وبرنامج اقترحهما موسى عليه السلام على قومه للتصدّي لتهديدات فرعون، فأوّلًا ينبغي لهم التوكّل على الله سبحانه والاستعانة به: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللهِ﴾، ثمّ يوصيهم بالاستقامة والثبات على دينهم وعدم الخوف من تهديدات عدوّهم وترك ساحة المقاومة: ﴿وَاصْبِرُوا﴾، ولتأكيد هذا الأمر مع ذكر الدليل، فقد أخبرهم موسى عليه السلام بأنّ الله قضى أن يورثهم الأرض: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلهِ

١. مكارم شيرازي، تفسير نمونه، ج٩، ص٧٣.
٢. هود: ٢٨.
٣. القصص: ٣٨؛ الحج: ٤٤.
٤. القصص: ٤ و ٣٩.
٥. الأعراف: ١١٧.
٦. الأعراف: ١٢٨.

﴿يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، أمّا آخر الشروط المطلوبة لتحقيق كلّ ذلك، فهو ضرورة التزام القوم بالتّقوى؛ لأنّ: ﴿الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

هذه هي الشروط الثلاثة الخاصّة بالعقيدة (الاستعانة بالله سبحانه) والأخلاق (الصّبر والاستقامة) والعمل (التّقوى)، والتي تكفّل انتصار بني إسرائيل على عدوّهم، وهي ليست شروطًا مقصورةً على بني إسرائيل وحدهم، بل هي تضمن لأيّ قوم انتصارهم على العدوّ، ولا يمكن الوصول إلى النّصر الأكيد إلّا بها. وأمّا الذين لا إيمان لهم والجبناء والضعفاء والشعوب الفاسدة والضائعة، فحتى لو انتصروا وفازوا، فإنّ ذلك نصر مؤقّت سرعان ما ينقرضون.

وجدير بالذّكر أنّ كلًّا من الشروط الثلاثة المذكورة مستند إلى الآخر، فالتقوى بدون الاستقامة في مقابل الشهوات والملذّات الدنيويّة مستحيلة، ولا دوام للصّبر والاستقامة من دون الإيمان بالله.[1]

وكان موسى عليه السلام يدعو قومه إلى الاستقامة باستمرار،[2] ويؤكّد لهم عون الله تعالى للمجاهدين،[3] وعندما كان بنو إسرائيل يتذمّرون من أمر ما، كان موسى عليه السلام ينبّههم إلى أنّ عاقبة مسار الاستقامة والحقّ هي النّصر والعزّة.[4]

ج- النبي يحيى عليه السلام

ذكر الله سبحانه النبيّ يحيى عليه السلام في بعض آيات القرآن وسمّاه ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾،[5] ومن المُخلصين في إيمانه[6] كما سلّم تعالى عليه في ثلاثة أيّام من حياته بقوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وِلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.[7]

پرتال جامع علوم انسانی

١راجع مكارم شيرازي، تفسير نمونه، ج٦، ص٣١١ و ٣١٢.

٢. يونس: ٨٩.

٣. الشعراء: ٦٢.

٤. الأعراف: ١٢٩.

٥. آل عمران، ٣٩.

٦. الأنعام: ٨٥-٨٧.

٧. مريم: ١٥.

وكلمة ﴿حَيًّا﴾ تأكيد للفعل ﴿يُبْعَثُ﴾ أي أنّ يحيى عليه السلام حيّ مع الشهداء، وسيُبعَث يومًا ما؛ لأنّ القرآن الكريم يصف الشهداء بالأحياء لا بالأموات: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾،[1] ويرى بعضهم أنّ المقصود ببعث يحيى عليه السلام هو حشره مع الشهداء الأحياء.[2]

ويُذكَر أنّ يحيى عليه السلام كان ضحيّة مقاومته واعتراضه على العلاقة غير المشروعة التي كانت بين أحد طغاة زمانه وإحدى محارم ذلك الطاغية، وقد أعلن عليه السلام صراحة أنّ زواج الطاغية بتلك المرأة غير مشروع، ومخالف لتعاليم التوراة، وصمّم على الوقوف بوجهه إلى آخر لحظة في حياته، واستمرّت مقاومة يحيى عليه السلام إلى أن استُشهد.[3]

لا ريب في أنّ الإنسان الذي يحتفظ بميوله الفطريّة الطاهرة ينأى بنفسه عن الرذائل، وهذا الشعور بالبحث عن الفضيلة هو الذي يقوده إلى المقاومة والثبات في مقابل القبائح والرذائل.

٢. مؤمن آل فرعون

مؤمن آل فرعون هو رجل من أقارب فرعون كان قد آمن بدعوة موسى عليه السلام، وورد في بعض الأحاديث أنّه كان ابن خال فرعون أو ابن عمّه.[4]

وقد جاء ذكره في القرآن الكريم في سورة (غافر) وسورة (القصص): ﴿رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾،[5] و﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾.[6]

لمّا علم مؤمن آل فرعون أنّ فرعون وملأه يتآمرون على قتل موسى عليه السلام، عارضهم ووقف ضدّهم، وسارع إلى إخبار موسى عليه السلام بعد أن قال لهم: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ

١. آل عمران: ١٦٩؛ الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١٥، ص١٥٢.
٢. الحسيني شاه عبدالعظيمي، تفسير اثنا عشرى، ج٨، ص١٥٤.
٣. راجع مكارم شيرازي، تفسير نمونه، ج١٣، ص٣٠.
٤. شريف لاهيجي، تفسير شريف لاهيجى، ج٣، ص٩٠٨.
٥. غافر: ٢٨.
٦. القصص: ٢٠؛ خسروي الحسيني، ترجمة و تحقيق مفردات ألفاظ القرآن، ج١، ص٢٢٣.

بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾،[١] وعندما أيقنَ مؤمن آل فرعون أنّ الطاغية وبطانته مصمّمون على القضاء على موسى عليه السلام، بادر إلى إخباره بمؤامرة الملأ: ﴿**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ**﴾.[٢]

فبالرغم من أنّ مؤمن آل فرعون كان من رجال بلاط فرعون أو من أقاربه، إلّا أنّ إيمانه بالله ورسوله جعله يقف في وجه فرعون، ويثبت على استقامته، ويوبّخ آل فرعون بسبب ما يرتكبون، وممّا قاله لهم: ﴿**... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾.[٣]

٣. سَحرة فرعون

ذكرنا آنفًا أنّ الله سبحانه أمر نبيّه موسى عليه السلام قائلًا: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾[٤] لمواجهة عصيان فرعون وطغيانه، ولا سيّما عندما جمع الأخير السّحرة ليواجهوا موسى عليه السلام، فلمّا ألقى موسى عليه السلام عصاه تغيّر المشهد تمامًا، وبهت الحاضرين، ودُهشوا وتزلزلت أركان فرعون وملأه؛ إذ تحوّلت عصا موسى عليه السلام بقدرة الله تعالى إلى ثعبان عظيم ابتلع كلّ الأشكال السحرية الزائفة التي ابتدعها سحرة فرعون.[٥] فلمّا رأى السحرة مُعجزة موسى عليه السلام وصِدق مقالته، سارعوا إلى الإيمان بموسى عليه السلام وبربّه وسجدوا أمامه، وفي تلك الأثناء استشاط فرعون غضبًا بسبب ما قام به سحرته، وإيمانهم بموسى عليه السلام قبل أن يأذن لهم؛ باعتباره زعيمهم ومليكهم: ﴿**قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى**﴾،[٦] لكنّ ذلك لم

١. غافر: ٢٨.
٢. القصص: ٢٠.
٣. غافر: ٢٨.
٤. الأعراف: ١١٧.
٥. مكارم شيرازي، تفسير نمونه، ج٦، ص٢٩٤.
٦. طه: ٧١.

يُثن السحرة المؤمنين عن قرارهم؛ لأنّهم ذاقوا حلاوة الإيمان الحقيقيّ بالله سبحانه، فألهمهم ذلك المقاومة ضدّ فرعون والوقوف بوجهه، فأجابوه قائلين: ﴿**... إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾.[١]

٤. آسية

أشار الله - عَزّ وجَلّ - إلى امرأة فرعون (آسية) في موضعيْن في القرآن الكريم، مرّة عندما أُحضِر إليها موسى عليه السلام، وهو بَعد رضيع في سلّة، فطلبت من فرعون ألّا يقتله ويسمح لها بإبقائه عندها لتربيته وتنشئته وتتّخذه ولدًا،[٢] والأخرى عندما سألت الله سبحانه أن يبني لها بيتًا في الجنة؛ لأنّها كانت مؤمنة وبريئة من تصرّفات زوجها فرعون: ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.[٣]

ويُذكَر أنّ امرأة فرعون كان اسمها (آسية بنت مزاحم)، وقد آمنت بموسى عليه السلام من أعماق قلبها بعد أن شاهدت بعينيها مُعجزته أمام السّحرة، فأنار الإيمان قلبها منذ تلك اللحظة، لكنّها كتمت إيمانها خوفًا من زوجها، فلمّا علم فرعون حقيقتها بادر إلى نهيها وتهديدها لكنّها قاومت واستقامت، ولم تستسلم لمطالب فرعون، وأخيرًا أمر فرعون بدقّ يَديها ورجليْها بالمسامير، ووضعها تحت أشعة الشمس في وضح النهار، وأمر بجعل صخرة كبيرة على صدرها، وفي آخر لحظات عُمرها كانت تلهج بالدّعاء التالي: ﴿**رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾، فاستجاب الله تعالى لدعاء هذه المرأة المؤمنة الطاهرة التي ضحّت بحياتها من أجل إيمانها، وحشرها مع النساء الطاهرات الأخريات، من أمثال مريم بنت عمران عليها السلام.[٤]

وهكذا ظلّت أسماء الأنبياء والصالحين خالدة وباقية على مرّ الدهور؛ لأنّهم كانوا يأمرون

١. الأعراف: ١٢٥-١٢٦.

٢. القصص: ٩.

٣. التحريم: ١١.

٤. مكارم شيرازي، تفسير نمونه، ج٢٤، ص٣٠٢.

الناس بالفضائل والكمال الحقيقيّ، وإيجاد المجتمع الدينيّ المطلوب بالاستعانة بالله الواحد، وإيمانهم بخلود أرواحهم، فأضحوا مثالًا للصبر والاستقامة، وفي كلّ عصر ومصر يظهر أفراد يقودون أُممهم، ويهدون شعوبهم، وتتجلّى فيهم المبادئ الدينية السامية، المبادئ الخاصّة بالفضائل والكمالات الإنسانيّة العالية الكفيلة بإيجاد المجتمع المطلوب، وكما قال القرآن الكريم، فإنّ الحياة الطيّبة هي الحافز العظيم الذي يقود تلك الحركات والتيّارات الجهاديّة.

نتيجة البحث

طبقًا للنظام التربوي الإسلاميّ وعلى أساس فطرة التوحيد، يمتلك الإنسان الكثير من الميول والرغبات التي تتحوّل إلى حافز يحرّكه للوصول إليها، ومن الميول والرّغبات الكامنة في الإنسان البحث عن الفضيلة والكمال والرغبة في الحياة الاجتماعية المطلوبة التي يُشير إليها القرآن الكريم بجملة (الحياة الطيّبة)، والتّوق إلى الخلود، وهذه ميول تساعد الإنسان في تحقيق الفضائل، وحفظ كرامته الإنسانيّة، وبلوغ أعلى مراتب الكمال، ونَيل الحياة الاجتماعيّة المطلوبة عَبر التربية الصحيحة، والسّعي والاجتهاد ومقاومة الموانع والعوائق.

وهكذا، فإنّ الإنسان الموحّد يستحضر المشاهد الرائعة للشجاعة والشهادة؛ كي يحقّق بواسطتهما الحياة الطيّبة، وبالتالي نَيل مقام القرب من الله تعالى ورضوانه والخلود في الحياة الآخرة، وقد بعث الله رُسله وأنبيائه المُصطفين؛ ليبيّنوا لعباده طريق المقاومة من خلال سيرتهم ومنهجهم، ومن مصاديق المقاومة أنبياء الله عليهم السلام ومؤمن آل فرعون وسَحرة فرعون وآسية امرأة فرعون وكثير غيرهم ممّن وقفوا بوجه المشركين والظالمين متسلحين بفطرتهم التربويّة.

كما يُمثّل انتصار الثورة الإسلاميّة بقيادة الإمام الخمينيّ قدس سره نموذجًا رائعًا آخر للمقاومة والثبات والاستقامة في مقابل الظلم والطاغوت، فبالثبات والاستقامة على الفضائل وظهور مُخلِّص العالم يمكن تأسيس المدينة الفاضلة وتحقيق الحياة الطيبة.

المصادر

القرآن الكريم

١. اعرافي، علي رضا وآخرون، ***اهداف تعليم و تربيت از ديدگاه اسلام***، طهران، منظمة الدراسة وتأليف كُتب العلوم الإنسانيّة في الجامعات (سمت)، ١٩٩٩ م، الطبعة الأولى.

٢. انوري، حسن وآخرون، ***فرهنگ بزرگ سخن***، طهران، منشورات (سخن)، ٢٠٠٢ م.

٣. باقري، خسرو، ***تعليم و تربيت اسلامى؛ چارچوب تئوريک و كاربرد آن***، طهران، لجنة الدفاع عن كرسي التنظير، ٢٠١٢ م، الطبعة الأولى.

٤. _____ ***نگاهى دوباره به تربيت اسلامى***، طهران، المؤسسة الثقافية في مدرسة (برهان)، ٢٠١٦ م.

٥. التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، ***غرر الحكم و درر الكلم***، قم، دار الحديث، ٢٠٠٤ م، الطبعة الثانية.

٦. الحسيني شاه عبدالعظيمي، حسين بن أحمد، ***تفسير اثنا عشرى***، طهران، منشورات (ميقات)، ١٩٨٤م.

٧. الخامنئي، السيد علي، كلمة سماحته بمناسبة الذكرى الثلاثين لرحيل الإمام الخميني قدس سره، ٢٠١٩ م، موقع مكتب حفظ ونشر آثار سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي على الإنترنت: http://farsi.khamenei.ir.

٨. خسروي حسيني، السيد غلام رضا، ***ترجمة و تحقيق مفردات ألفاظ القرآن***، طهران، منشورات (مرتضوي)، ١٩٩٦م، الطبعة الثانية.

٩. دهخدا، علي أكبر، ***لغت نامه دهخدا***، طهران، مؤسسة (لغت نامه) وجامعة طهران، ١٩٩٤م.

١٠. رباني گلپايگاني، علي، ***فطرت و دين***، طهران، مؤسسة (دانش و انديشه معاصر) الثقافية، ٢٠٠١م، الطبعة الأولى.

١١. رسولي، هاشم؛ ***تاريخ انبياء***، قم، مؤسسة تحقيقات و نشر معارف أهل البيت عليهم السلام، ٢٠٠١ م.

١٢. رهبر، محمد تقي؛ رحيميان، محمد حسن، ***اخلاق و تربيت اسلامى***، طهران، منظمة الدراسة وتأليف كُتب العلوم الإنسانية في الجامعات (سمت)، ٢٠٠٦م، الطبعة الثالثة عشرة.

١٣. الزمخشري، محمود، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***، دار

الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ق، الطبعة الثالثة.
١٤. شريف لاهيجي، محمد بن علي، ***تفسير شريف لاهيجي***، طهران، مكتب نشر (داد)، ١٩٩٤م.
١٥. الطباطبائي، السيد محمد حسين، ***الميزان في تفسير القرآن***، قم، مكتب المنشورات الإسلاميّة التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلميّة في قم، ١٤١٧ق، الطبعة الخامسة.
١٦. الطبرسي، الفضل بن الحسن، ***مجمع البيان في تفسير القرآن***، طهران، منشورات (ناصر خسرو)، ١٩٩٣م، الطبعة الثالثة.
١٧. فرهاديان، رضا؛ ***مبانى تعليم و تربيت اسلامى در قرآن و حديث***، قم، مؤسسة البحوث ونشر معارف أهل البيت عليهم السلام، ٢٠١٤م، الطبعة الخامسة.
١٨. الكليني، أبو جعفر، محمد بن يعقوب، ***الكافي***، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٤٠٧ق، الطبعة الرابعة.
١٩. مصباح يزدي، محمد تقي، ***فلسفه تعليم و تربيت اسلامى***، طهران، مؤسسة (مدرسه برهان) الثقافية، ٢٠١٢ م، الطبعة الثانية.
٢٠. مطهري، مرتضى، ***تعليم و تربيت در اسلام***، طهران، منشورات (صدرا)، ٢٠٠٤ م، الطبعة الحادية والأربعون.
٢١. _____ ***فطرت***، طهران، منشورات (صدرا)، ١٩٩٦ م، الطبعة الثامنة.
٢٢. مكارم شيرازي، ناصر، ***تفسير نمونه***، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٩٩٥ م.
٢٣. موقع الحوزة الاختصاصي، ***فرهنگ ايثار و مقاومت در قرآن***، ٢٠١٦ م، موقع الحوزة على شبكة الإنترنت: https://hawzah.net.
٢٤. مير قادري، السيد فضل الله؛ كياني، حسين؛ بن***مايه‌هاى ادبيات مقاومت در قرآن***، مجلّة (ادبيات دينى) العلميّة الاختصاصيّة الفصليّة، العدد الأول، ربيع وصيف عام ٢٠١٢م.